نظرات فكرية على أسس معرفية

مفهوم القطع والمعجزات نموذجا

إعداد

سعيد فودة

المسألة الأولى إشكالية العمل بالقطع ولو كان مخطئا

مستويات المعرفة في النفس

تعلق النفس بالقضايا على النحو التالي:

١-التكذيب: رفض القضية وإنكارها.

٢-الوهم: ترجيح إنكار القضية.

٣-الشك: استواء القضية إنكاراً وقبولاً. ٢

٤-الظنُّ: ترجيح قبول القضية، مع احتمال غلطها.

٥-الاعتقاد (القطع): وهو الجزم بقبول القضية، مع عدم وجود احتمال لغلطها.

ما هي لوازم القطع

العمل بالقطع يولد الطمأنينة النفسية .
وهذه الطمأنينة هي السبب في الفارق:
بين أن تعمل وأنت متردد .
وأن تعمل وأنت ظانٌّ ترجح الرأي الذي تقوم به.
وبين أن تعمل وأنت قاطع بما تعمل.

ما هي أسباب القطع؟

أولاً: الدليل والبرهان

ثانياً: التقليد والهوى: ويمكن أن يكون التقليد، للآباء، أو للأستاذ، أو للثقافة السائدة....الخ.

ثالثا: الإرادة للقطع بما يقطع به بغض النظر عن سبب الإرادة.

أحوال للإنسان الذي يقطع بأمر ما

وهذه الأحوال باعتبار تقصيره أو عدم تقصيره في أسباب القطع:

الحالة الأولى: أن يبذل جهده التام لكي يعرف الحقّ فلا يصل إلى إلا ما وصل إليه مع صدقه في النظر، فيقطع بمقتضاه.

وهذا يظهر أن حكمه أن يكون معذوراً فيما وصل إليه، لأنه بذل ما يستطيع، ولا تكليف بما لا طاقة للإنسان به.

والحالة الثانية: أن لا يبذل الإنسان جهدا كافيا مع وجود دوافع لبذل هذا الجهد، ويقطع بما يقطع به.

وهذا يسمى مقصِّراً، والمقصر يؤاخذ بتقصيره، سواءً على نفس التقصير أو على لوازم التقصير.

كمن قصَّر فجهل، فرتب حكما باطلا بانياً على جهله الناتج عن تقصيره، فيؤاخذ على نفس التقصير، وعلى نتائج أعماله الباطلة.

ماذا يترتب على العمل بالقطع؟

يقولون: إن الذي يعمل بقطعه يترتب عليه أمران:

الأول: أن يكون العمل الذي فعله تنجيزاً لأمر الشارع الذي أمره بالعمل، وذلك في حال الصواب. يعني يبرئ ذمته.

الثاني: أن يكون معذورا في حال الخطأ في قطعه، لأن القطع في نفسه حجة.

ولكن...؟

هل هذا الأمران يترتبان على مطلق القطع، سواء كان خطأ أو صواباً؟

وهل يتعلق بمطلق المكلف: سواء كان مقصِّرا أو غير مقصِّر؟

هل كان الكفار قاطعين بما يقولون؟

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [البقرة : ٦]

وقال تعالى : {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} [البقرة : ١٨]

قال تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [البقرة : ١٧١]

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} [البقرة : ١٧٠]

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} [المائدة : ١٠٤]

{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ} [يونس : ٧٨]

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} [لقمان : ٢١]

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا خَرَجَتِ الْحَرُورِيَّةُ اعْتَزَلُوا فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ صَالَحَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ لِعَلِيٍّ اكْتُبْ يَا عَلِيُّ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ **قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا قَاتَلْنَاكَ** فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - امْحُ يَا عَلِيُّ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُكَ امْحُ يَا عَلِيُّ وَاكْتُبْ هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَاللَّهِ لَرَسُولُ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ وَقَدْ مَحَا نَفْسَهُ وَلَمْ يَكُنْ مَحْوُهُ ذَلِكَ يَمْحَاهُ مِنَ النُّبُوَّةِ أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ قَالُوا نَعَمْ .)).

والذي قال ذلك للنبي عليه السلام : **أبو سفيان وسهيل بن عمرو.**

أخرجه أحمد ١/٣٤٢ (٣١٨٧) و((النسائي)) في ((الكبرى)) ٨٥٢١ عن عمرو بن علي.

وفي بعض الروايات: «**فقال المشركون: والله لو أنا نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك».**

وقد قال الخوارج لعبد الله بن عباس لما خرج يناظرهم بأمر من الإمام علي رضي الله تعالى عنهما: «**لو أقررنا بأنك أمير المؤمنين ما قاتلناك».**

ما حكم القرآن على القاطع المبطل

{ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة : ٧]

{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ} [غافر : ٣٤]

{الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} [غافر : ٣٥]

{مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ} [غافر : ٤٠]

{إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [غافر : ٥٦]

{الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [غافر : ٧٠]

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (٦٩) **الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا**
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) **إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ** (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ
(٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ
يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤) ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ادْخُلُوا
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ
أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٧٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ
عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨)
اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي
صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (٨١) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) **فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ** وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) **فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ**
إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ **وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ** (٨٥)} [غافر : ١ - ٨٥]

هل يجب الإيمان بالرسل

{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [يونس : ١٣]

{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} [إبراهيم : ٩]

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ} [إبراهيم : ١٣]

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [غافر : ٢٢]

{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا} [الطلاق : ٨]

{مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [آل عمران : ١٧٩]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء : ١٣٦]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء : ١٣٦]

{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء : ١٥٢]

الموقف من الشك

إذا شكّ إنسانٌ في أمرٍ فهل له أن يبني على الشك، ويبقى شاكا ويبني على شكه، أم يبني على اليقين الممكن الوصول إليه؟

روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم قال:

"إذا شك احدكم في صلاته فليلق الشكَّ، وليبنِ علي اليقين، فإذا استيقن التمام سجد سجدتين، فان كانت صلاته تامة كانت الركعة نافلةَ له، والسجدتان، وان كانت ناقصةً كانت الركعة تماما لصلاته، والسجدتان ترغمان أنف الشيطان ") رواه أبو داود

وورد في بعض الأحاديث التي رواها أبو داود عن عبد الله: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا شَكَّ أحَدُكُم في صلاتِه، فليتحرَّ الصَوابَ، فليُتمَّ عليه، ثم ليُسلم ثم ليسجُدْ سجدتَين»

وفي بعض الروايات: (فَلْيَطْرَحْ الشَّكَّ وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ)

ورواه مسلم قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كمْ صلى أثلاثا أم أربعا، فليطرح الشك وليبن على ما استيقن، ثم يسجد سجدتين قبل ان يسلم، فان صلي خمسا شفعن له صلاته، وان كان صلي تمام الأربع كانتا ترغيما للشيطان»

قال النووي في المجموع:

قال الشافعي والأصحاب رحمهم الله تعالي إذا ترك ركعة ساهيا ثم ذكر وهو في الصلاة لزمه فعلها وإن شك في تركها بأن شك هل صلى ركعة أو ركعتين أو ثلاثا أو أربعا لزمه الأخذ بالأقل وفعل ما بقى سواء كان شكه مستوى الطرفين أو ظن أنه فعل الأثر ففي الحالين يلزمه الأخذ بالأقل ويجب الباقي ولا مدخل للاجتهاد فيه.

وقد قدمنا في باب ما ينقض الوضوء أن الفقهاء يطلقون الشك على التردد في الشيء سواء استوى الاحتمالان أو ترجح أحدهما وإن كان عند الأصوليين مخصوصا بمستوى الطرفين.

الدعوى الأولى
القطع في الأمور الإلهية محالٌ

يقول بعض الناس: إن القطع بالأمور المتعلقة خصوصا بالأديان مبني على الغرور، لأنه لا يستطيع أحد أن يعرف الحقّ. وبالتالي فإن القطع محال في هذه الأبواب.

الجواب: إننا بقليل من النظر نستطيع القطع ببعض الأحكام، كالعلم بأن الإله يجب أن يكون قديماً، والقديم لا يصح أن يكون مفعولا لغيره، وأن الإله يجب أن يكون مستغنيا عن غيره، وإلا بطلت ألوهيته، والمستغني يجب أن يكون قادراً، فإن العاجز يستحيل أن يكون إلها، وهكذا...

كل هذه الأمور وغيرها يمكننا القطع بها، ويمكننا معرفة الأدلة عليها، ومخالفة بعض من خالف فيها، لا يستلم القدح في القطع المبني على الدليل، لأن القطع لا يتوقف على عدم الخلاف.

الدعوى الثانية
القطع في الأمور الدينية كاف ولو كان غير مطابق

يقول هؤلاء: إنا نرى أن بعض الناس يقطعون بالإسلام، وبعضهم يقطع بالمسيحية وباليهودية، وبعضهم بالوثنية والشرك، وهكذا...وكل من قطع بشيء، وجب عليه العمل بقطعه، لأن القطع حجيته ذاتية.

ويقولون: قطع القاطع معذر له، ولا يتوجه عليه حجة.

يقولون: إن القطع حجة ذاتية ، لا فرق بين المصيب في قطعه وبين المبطل.

يقولون: إن من عارض الإله الحق ببرهان ولو كان مخطئا كان معذوراً، بل هو مثاب، لأنه يعتقد أنه الحق، والدليل قوله تعالى: {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} [المؤمنون : ١١٧]

ويحتجون بقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة : ٦٢]

المسألة الثانية
المعجزات والعلم

استعمالات لفظ المعجزة

هناك استعمالان للمعجزة:

الأول: حادثة تتضمن قلبا لقوانين الطبيعة أو تدخلاً لما هو فوق الطبيعي في المجال الطبيعي.

وهذا المفهوم قد يطلق عليه بالمفهوم القوي للمعجزة strong sense، وهو ما لا يمكن للقوى الطبيعية إنتاجه، بل لا يصدر إلا عن قوى فوق طبيعية (الإله)

يقول ديفيد هيوم إن المعجزة بالمعنى الأخص لا بد أن يتحقق فيه الأمران التاليان:

<u>الأول</u>: حدث لا يمكن حدوثه بلحاظ القوانين الطبيعية المعتادة، كما لو كنا نعرف أن فلانا مات منذ فترة وتحلل جسده، فعودته إلى الحياة محال بلحاظ هذه القوانين. فإذا كان الأمر خارجا عن قوانين الطبيعة، فإنا نعتبره معجزة، وإلا فلا.

<u>والأمر الثاني</u>: أن يحصل الحدث بتدخل مباشر من الله أو فاعل فوق الطبيعة.

المعنى الثاني للمعجزة: حادثة نادرة وغريبة لا يمكن فهمها.

أو

أنها غير مفهومة لمن شاهدها. كنجاح طالب في امتحان صعب لم يدرس مادته ولم يعد العدة له، فيقول لو عرف أنه نجح: إنها معجزة. وهذا هو الإطلاق العامي للمعجزة.

ويمكن التعبير عنه بأنه أمر غير مناقض للطبيعة، بل لطريقة فهمنا للطبيعة.

وهذا مطرد مع ما قرره السير جورج ستوكس George Stoke بناء على تعريف مفهوم القانون الطبيعي Natural Lawمن أنه القانون الغالب والمعتاد الذي تعمل الطبيعة وفقا له، فقال: "إن المعجزة هي حدث يظهر تبعا لقانون طبيعي لا يعمل عادة، وليس بالضرورة أن تكون المعجزة تعليقا أو إيقافا لقانون الطبيعة المعتاد«

وبهذا المعنى الأخير فإن ما هو معجزة في عصر قد يصبح مقبولا ومفهوما في عصر آخر

دعاوى معارضة المعجزات ومناقشتها

سوف نناقش ها هنا بعض المذاهب والآراء في صدد مخالفة المعجزات وإنكارها أو ردها معرفية وغير ذلك

وما نذكره هنا مجرد أمثلة ، وليس المقصود به الاستقصاء.

الدعوى الأولى: المعجزات مستحيلة عقلاً

من المعجزات التي وردت عن الأنبياء المتقدمين شق البحر لموسى عليه السلام وإحياء الموتى، وإعادة إحياء الحمار بعد تفتت لحمه وعظمه، ومثل هذه الظواهر غريبة عما اعتاده الناس في العصر الحديث، ولذلك يبادر كثير منهم ليقول إن المعجزات محالة عقلا، لمجرد أنهم لم يروا مثلها أو لم يعاصروا زمانها. فهل المعجزات فعلا محالة عقلاً؟

ومن الفلاسفة الشهيرين الذي اعتقدوا أن المعجزات أمر سخيف الفيلسوف سبينوزا Benedict Spinoza (1632-1677)

وتبعا لفلسفته فهو يعتقد بوجود واحد فقط، لا نهائي، وهو الإله، وهو مطابق لهذا العالم، فهو قائل بوحدة الوجود المادية، والإله ليس متعاليا على الكون، وليس وراء المخلوقات، وأفعاله هي عينها المخلوقات. والمعجزات تكون بناء على هذا التصور مستحيلة عقلاً، فحيث كان الإله محايثا للعالم، فلا وجود لأمر متعالٍ عن الطبيعة يتدخل فيها، فكل المظاهر الوجودية متوافقة مع قوانين العالم، فنظامها واجب لازم لا يمكن خرقه.

هناك ثلاثة عناصر كانت تحكم سبينوزا في نظرته هذه:

١-الحتمية الضرورية بين عناصر الكون deterministic view of natural laws.

٢- نظريته الوجودية في الإله المبنية على وحدة الوجود Pantheistic view of God.

٣-بناؤه النظري الأقليدي بوضع أكسيومات أصلية يحاول إرجاع جميع النتائج إليها Euclidean rationalism .

فبناء على هذه المقدمات ينبغي حتما نفي المعجزات.

والرد على أطروحاته في هذا العصر صار أوضح: فالحتمية غير مسلمة فلسفيا، ولا طبيعيا، ووحدة الوجود لا دليل عليها عقليا ولا دينيا، ولا فيزيائيا، ويتبع ذلك البناء الأقليدي الذي يقول به سبينوزا تحكما.

الدعوى الثانية
هيوم: المعجزات غير قابلة للتصديق

زعم بناء على منهجه التجريبي الحسي المحض أنها غير قابلة للتصديق، ولو صحَّ هذا الفرض لما كان فائدة للمعجزة أيضاً كما هو واضح.

فقد كان هيوم يقرر أنه على الرغم من إمكان التصديق بالمعجزات في نفسها، ولكنه من غير المعقول فعل ذلك بناء على أسس معرفية كما سيأتي

الذي يقبل التصديق فقط عند هيوم هو ما يأتيه من طريق الخبرة الحسية

يمكننا تلخيص تقريره المتعلق بالمعجزات:

١-المعجزة هي خرق لقانون الطبيعة المعروف بالعادة البشرية.

٢-هذه القوانين الطبيعية غير القابلة للتغير عرفناها بالخبرة.

٣-الحكماء يعتقدون ما هو موافق للدليل.

٤-الدليل المخالف للمعجزة موافق لكل ما يمكن أن يكتسبه الإنسان بخبرته.

فالخبرة المطردة الموافقة للمحسوسات هي التي تعارض المعجزات، ولذلك فلا يمكن الموافقة على المعجزات ما دام كل ما يمكن اختباره في الطبيعة مخالفا للمعجزات.

إن ما يريد هيوم بيانه إنما هو عدم قابليتها للتصديق، لا استحالتها في نفسها، ويمكن صياغة حجته بطريقة أقرب إلى مراده على النحو التالي:

١-المعجزة بالتعريف نادرة الحصول.

٢-القانون الطبيعي بالتعريف مطرد مستمر الوقوع.

٣-حجية ما كان مطرد الوقوع أرجح دائما مما كان نادر الوقوع.

٤-الحكماء دائما يعتقدون الظاهرة ذات الحجية الأرجح.

٥-إذن، الأفراد العقلاء لا ينبغي أن يؤمنوا بالمعجزات لأنها دائما أقل رجحانا في الوقوع

مناقشة نظرية هيوم:

من أهم ما يرد على حجة هيوم المبينة، حالتان اثنتان:

الأولى أن يشاهد أحدهم المعجزة بعينه، لا عن طريق خبر، فكيف في هذه الحالة يمكنه الشك في المعجزة وهو يراها بحسه.

والحالة الثانية: أن يتم نقل المعجزة عن طريق خبر التواتر الذي لا يقبل الشك ولا الردّ وفي هذه الحالة يقوم التواتر مقام المشاهدة الحسية المباشرة

والنقد المنهجي الأكثر أهمية هو التالي: بالغ هيوم من قيمة ما نعتبره قوانين طبيعية، لأننا نعلم بالتأكيد أن قوانين كثيرة اكتشفت نتيجة لاعتبارنا بعض الظواهر الشاذة المخالفة لما كنا لاحظناه من نتائج مطردة، ونتيجة لذلك فقد تم اكتشاف كثير من القوانين الطبيعية أو تعميمها لاحقاً على حالا في مجالات أوسع مما كنا نعتقد أنها محدودة فيه.

فرفضه لقبول المشاهدات المخالفة للمعروف المعتاد، يسد طريق البحث العلميّ.

لزوم عدم إمكان المعجزات في المستقبل

يلزم على طريقة هيوم ألا يمكن حصول المعجزات في المستقبل كما هي في الماضي، فقط لأنها نادرة الحصول.

وهذا مخالف للمنهج العملي الذي يلتزم به هيوم، وهو الطريقة التجريبية، فهذه الطريقة لا تجزم بنفي حصول الشيء المستقبلي. خصوصا مع نفيه للتعليل.

لزوم عدم إمكان حصول أي أمر مخالف للخبرة البشرية بما قد حصل لنا حتى هذه اللحظة.

ومن الواضح أن ذلك مخالف للواقع.

الدعوى الثالثة:

أنتوني فلو: ودعوى عدم عقلانية المعجزات

يمكن تلخيص دعواه في النقاط التالية:

١-المعجزات بطبيعتها خاصة وغير متكررة.

٢-الحوادث الطبيعية بطبيعتها عامة ومتكررة.

٣-عمليا، فإن الحجة على ما كان متكررا وعامّ الحصول أعظم عادة من الخاص وغير المتكرر.

٤-إذن: عمليا، فالحجة المضادة للمعجزات ستكون دائما أكبر من التي معها.

هناك ملاحظات ترد على طريقة أنتوني فلو

أولا: لقد قبل الطبائعيون كثيرا من الأمور التي لم تتكرر في العلوم الحديثة. منها نظرية الانفجار العظيم التي هي أصل نشوء العالم الذي نعيش فيه، فلو كانت طريقته في التفكير صحيحة لما جاز لهم قبول هذه المتفردة.

ثانياً: فرضية أنتوني فلو غير قابلة للنقض، لأنه مهما فرضنا من أمور لن يقبلها لأنه سيعتقد دائما أن الحجة المضادة للمعجزات ستكون أعظم من المؤيدة لها، فموقفه المعارض لما فوق الطبيعة سيكون دائما ثابتا على أسسه التي يقررها، وهذا مبني على موقف naturalism المتعنت.

وللمؤمن أن يقول: إذا كانت الطبيعانية غير قابلة للنقض، فكذلك الإيمان بالله تعالى، غير قابل للنقض، وينبغي أن يسمح لهم أنتوني فلو بذلك.

ثالثا: بناء على طريقته في التفكير، يلزمنا أن ننفي أي حدث تاريخي غير معتاد، لأنه غير متكرر، وليس خوارق العادات فقط، بل إن التاريخ الجيولوجي للأرض أيضا ينبغي أن يتم إلغاؤه لأنه غير متكرر، كما ينبغي نفي كل موت وحياة مشاهدة لأنها غير متكررة أيضا.

الدعوى الرابعة
المعجزات والتفسير العلمي

رودلف بولتمان يقول إن من يقبل العلم الحديث ينبغي عليه أن يرفض أي تفسير للحوادث في العالم الطبيعي باستخدام أفعال ناشئة عن قوى أو أفعال خارقة للطبيعة أو فوق الطبيعة (مثل: الملائكة، الآلهة، الشياطين...الخ)

غاية ما يمكن دعواه هو أنها لا يمكن تفسيرها بواسطة القوانين العلمية المعروفة، أما أن يقال: إنها لا يمكن تفسيرها علميا مطلقا، فهذا لا يمكن لأحد أن يقرره، ولا ينبغي للجوء لتفسير فوق طبيعي supernatural

تلخيص الدعوى:

١-كون الحدث لم يتمَّ تفسيره علمياً، لا يعني أنه غير قابل للتفسير علمياً.

٢-المعجزات لم يتمَّ تفسيرها علمياً.

٣-إذن: المعجزات ليس بالضرورة أن تكون غير قابلة للتفسير علمياً.

فقد يحصل في بعض الأحيان أن يكون حدث معين معزوا لمعجزة في بعض الأزمان، ثم يمكن تفسيره بعد ذلك عندما تُكْتَشَفُ أسبابُه الطبيعية.

المناقشة

نقد هذه الطريقة:

١-إنه يعرف (التفسير) بطريقة ضيقة بحيث يستثني التفسير لأي ظواهر فوق طبيعية، ويصر على أنّ التفسيرات كلها يجب أن تكون طبيعية وعدا ذلك فلا يمكن أن تعدَّ تفسيراتٍ!

٢-يفترض باتريك من دون دليل مسبق أن أي ظاهرة يجب في النهاية أن تكون بحسب مقتضى القانون الطبيعيّ. ولكنه لا يملك أي دليل علمي على هذه الدعوى، إنه مجرد التزام بمذهب الطبيعانية الفلسفي.

٣-وحتى لو واجه باتريك ظاهرةً فوق طبيعية، فإنه بكل بساطة سيفترض أنها في النهاية يمكن تفسيرها بواسطة قوانين طبيعية، سواء منه أو من غيره.

٤-يشترط باتريك للتفسير العلمي أن يكون قادراً على توقع أحداث أخرى، وهذا ما لا يعطيه إياه أي تفسير لأي معجزة. مع العلم أنه توجد ظواهر طبيعية لكن لا يقدر أحدٌ على توقعهاأبداً ،مثلاً، لا يمكن لأحد توقع متى يتزوج العازب! ولكنه متى ما نوى الزواج، نعرف ما سيحصل طبيعياً بعد ذلك.

الخاتمة

إعادة النقد والتحليل العميق للدعاوى والنظريات

قد يظهر جهات من الضعف أو القوة لا نتوقعها قبل الدرس العميق.